العرب
الخميس 2020/01/09
السنة 42 العدد 11581

# «شهيد القدس».. وسقوط الانتخابات الفلسطينية

مروان كنفاني
مستشار الرئيس الراحل
ياسر عرفات

يتطلب الواجب الوطني أن نعرّج على أزمة خطيرة في تطوّر أوضاع الشرق الأوسط ودوله وأحزابه وسلامه وحروبه وتحالفاته، وما يصدر عن قادتها وقادة الأحزاب من تصريحات تعكس قناعاتهم وميولهم الحقيقية، والتي تعبّر عن معان ومضامين سياسية.

لا ينكر أحد حق الأخ إسماعيل هنية، رئيس حركة حماس الفلسطينية، القيام بجولات سياسية يدعم فيها قضية الشعب الفلسطيني ونضاله في سبيل تحقيق أهدافه الشرعية، وحقّه في اختيار الحلفاء والأصدقاء والبرامج السياسية.

لكن أن يختار الزعيم الحمساوي لقب "شهيد القدس" لقاسم سليماني قائد فيلق القدس الإيراني الذي لقي مصرعه مؤخرا، فهذه سقطة لها دلالات سياسية كبيرة، لأن هذا اللقب هو الذي اختاره وخصصّه الشعب الفلسطيني لقائده الخالد الشهيد ياسر عرفات من بين كل الألقاب التي كانت كافية لتوفي الغرض الذي أراده.

**ليس هناك من سبيل لتغيير المسار الراهن المتجه نحو كارثة حقيقية سوى اتفاق الفلسطينيين أنفسهم على العمل سويا**

توحي المقارنة بمعان تجرح مشاعر الأغلبية الساحقة للشعب الفلسطيني، فكيف يمدّ رئيس المكتب السياسي لحماس ذراعيه من إيران عبر آلاف الأميال إلى أرض فلسطين لينبش قبرا عزيزا على الفلسطينيين. قبر راقد على أكناف القدس الشريف، وينزع عن ساكنه لقباً وشّحه به منذ فترة الشعب الفلسطيني، عرفاناً لنضاله.

ليس هذا هو العرفان والاحترام الذي حفظه الرئيس الشهيد ياسر عرفات لشهيد حماس وقائدها الشيخ أحمد ياسين الذي ما ذكره إلاّ بلقب الشيخ الجليل الذي وشّحه به ولم يستعمله إلاّ له.

تكشف بعض الكلمات العاطفية الكثير من المعاني السياسية، والتي تشير إلى واحدة من العلامات التي تكرّس الانقسام. وتجعل من أيّ توجه لإعادة اللحمة الوطنية محفوفا بالمخاطر. ولذلك من الطبيعي أن تتباعد المسافات حول الاستحقاق الانتخابي الذي استبشر به قطاع كبير من الشعب الفلسطيني، لكنه أصبح بعيد المنال.

يدرك الشعب الفلسطيني، والعالم بأسره، أن شجاعته ووحدته، وليس وفرة السلاح وتنوعه، هي التي مكّنته من إنقاذ الأرض الجنوبية منذ نكبة فلسطين. وحافظت الأجيال الفلسطينية على تلك الأرض، قبل أن تكون هناك حركة فتح ولا حركة حماس، أو ترتيبات سياسية إقليمية.

خاض الشعب معارك شرسة ضد الاحتلال الإسرائيلي في الانتفاضة الأولى ومعارك النفق المقدسي والانتفاضة المجيدة الثانية، وأنزل أكبر الخسائر التي تلقتها إسرائيل قبل أن تكون لديه صواريخ وأسلحة متقدمة.

وحدة الشعب الفلسطيني وتضحيات وشجاعة شبابه، من حركتيْ فتح وحماس، والفصائل الفلسطينية برمتها، وليس الصواريخ، هي التي ساعدت على الاحتفاظ بذلك الجزء الغالي من الوطن، ولا اتكال على أحد ولا منّة من أحد.

تؤدي التطورات المتلاحقة في المنطقة، إلى أن ترخي بظلالها على الأوضاع الفلسطينية التي بدأت تكتسي بقدر من النشاط بعد الإعلان عن إجراء انتخابات رئاسية وتشريعية.

لكن يبدو الآن أن الوصول إلى هذه الانتخابات أصبح من الماضي الذي حلم به الشعب الفلسطيني ولم يتمكّن من إنجازه. ومن السهل إلقاء هذا الفشل على إسرائيل للتخلص من تقصيرنا، كما فعلنا دائما في تغطية فشلنا.

من المفهوم والمعلوم أن إسرائيل لا تريد إجراء أو إنجاز يشير أو يدعم الوجود الفلسطيني على الأرض، أو يعطي قبولا دوليا لكيانية ذات استقلالية سياسية في دولة قابلة للحياة، متصلة وذات سيادة، أو تمدد سيطرة حركة حماس على الضفة الغربية.

قد تكون الانتخابات ممكنة فيما لو تم التوافق بين الفلسطينيين، أنفسهم، على إجرائها واتفقت الفصائل والأحزاب والحركات على خوضها.

إن اتفاقا فلسطينيا على جدول زمني وبرنامج سياسي مشترك، مع دعم عربي ودولي، كان كفيلا بتجاوز كافة أو معظم العراقيل والشروط التي تضعها إسرائيل أمام ذلك الهدف الفلسطيني.

سوف يقود فشل التوصل إلى إجراء الانتخابات إلى وضع فلسطيني في غاية الصعوبة على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والمعيشية، وقد يطيح بالإنجازات المحدودة التي تحققت له في العقود الماضية.

هل انتهى الحلم الفلسطيني بإقامة دولة فلسطينية؟ هل ستبقى في المستقبل القريب فلسطين واحدة؟ هل تستمر الأوضاع على ما هي عليه في وقتنا الحاضر؟ أم سوف يتم فصل ما تبقى لنا من أرض فلسطين إلى الجزء الشمالي والشرقي، وربما إمارة أو فلسطين الحمساوية في الجزء الجنوبي، على غرار دولة قبرص وقبرص التركية، وكلاهما خاضعان لشروط اتفاق أوسلو؟

هل سيتم اعتراف عربي ودولي بالكيانين الجديدين؟ وهل تنقسم دول العالم العربي حول الدولة أو الدولتين الفلسطينيتين؟ وهل يزداد التقارب العربي – الإسرائيلي؟ هل تسقط المقاومة وتخضع حركة حماس لتنازلات كبيرة للتمتع بدولة في قطاع غزة؟ هل سيتم اعتراف متبادل بين فلسطين حماس وفلسطين فتح، ويتم تبادل السفراء أو الممثلين بينهما؟ هل يصدر الطرفان جوازات سفر مختلفة ويتم شق طريق آمن بينهما؟ ومن منهما سوف يمثل فلسطين في الجامعة العربية وفي منظمة الأمم المتحدة؟ ومن منهما يتسلم الإعانات الدولية المالية والعينية؟

تبدو هذه الأسئلة غريبة وبعيدة عن الواقع، لكنها أسئلة في الصميم وسوف تصدم الفلسطينيين بمرور الزمن واستمرار الانقسام وتعنّت حركتي فتح وحماس وتعارض تحالفاتهما العربية والإقليمية والدولية.

مع كل هذه التعقيدات، لا زالت هناك فسحة من الأمل والوقت للعمل لإنقاذ الشعب الفلسطيني من مصير قاس، ونهاية تمسح وتلغي عقودا طويلة من كفاح الشعب وتضحياته وشهدائه وجرحاه ومعتقليه.

تستطيع الحركتان اللتان قادتا النضال وقدمتا التضحيات إعادة الأمل في مستقبل واعد للشعب الفلسطيني وشعوب الأمة العربية التي واكبت نضالنا ودعمته، ولكل الشعوب والحكومات في العالم التي تؤيّد أهدافنا في إعادة اللحمة لشعبنا والاتفاق على الأهداف المشتركة والتوصل لبرنامج سياسي مشترك.

يتساءل الفلسطينيون، ومعهم شعوب العالم العربي، عن السبب الذي يدفع قادة الحركتين الفلسطينيتين الأكبر للتجول في أنحاء العالم والاجتماع مع قادة الدول، ولا يفكّر أحد منهم بلقاء نظيره الفلسطيني الذي يبعد عنه مسافة قصيرة؟

ما الذي يدفع إلى اتخاذ مواقف عدائية من بعضهم البعض وهما أبناء شعب واحد؟ قد يكون هذا من الأسباب التي تشرح لماذا لا يقترح، أو يطالب، رئيس عربي أو مسلم بالتدخل من أجل لقاء قمة فلسطيني – فلسطيني كما يتم يوميّا في عواصم عربية وإسلامية وأفريقية متعددة لقيادات متعارضة.

ليس هناك من طريق أو سبيل لتغيير المسار الراهن المتجه نحو كارثة حقيقية سوى اتفاق الفلسطينيين أنفسهم على العمل سويا. كما لن يتمكّن أيّ فصيل من الانتصار عبر تكتيل التحالفات والانحيازات الإقليمية، وإن حصل على كل أموال العالم وكسب اعتراف دوله، أو تمكّن من الحصول على كل أسلحة العالم وصواريخه.

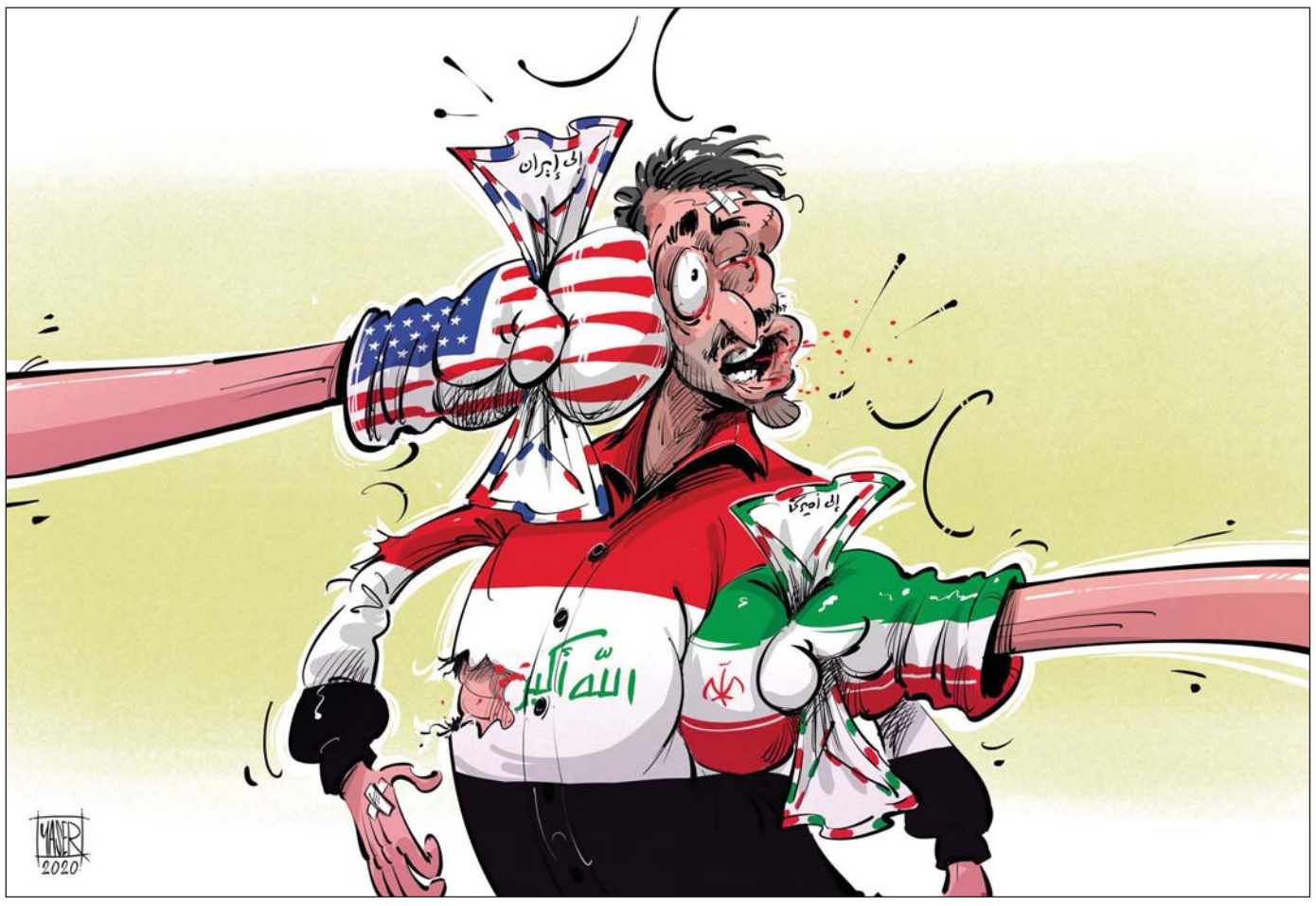


# حرب على مراحل.. سيناريوهات إيران وخطأ ترامب

زهير قصيباتي
صحافي لبناني

52 هدفا و12 سيناريو للرد و13 شرطا للتسوية. هل ما زال احتمال التسوية مع طهران واردا فيما الجيوش متأهبة ورضخت إيران للتحذيرات الأميركية فكان ردها على اغتيال الأميركيين قاسم سليماني مدروسا لتفادي حرب شاملة؟ حتى لكأن الصواريخ الـ22 التي أطلقت من الداخل الإيراني جاءت حربا صوتية إذا صح ما قاله وزير الخارجية محمد جواد ظريف عن انتهاء ضربات الرد.

الأزمة مع إيران لم تكن في أي فترة على شفير حرب تثير قلقا دوليا وإقليميا كما هي اليوم. لا جيران إيران يمكنهم تجاهل خطورتها وتداعياتها ولا الغرب والشرق بمنأى عن شراراتها. يمكن لطهران أن تتمسك بالوعيد والتهديد، ويمكن الولايات المتحدة أن تصر على تذكير النظام الإيراني بعواقب أي ضربة تستهدف مصالحها في المنطقة وجنودها، لكن أحدا لا يمكنه التكهن بعواقب كرة النار والحديد التي تتدحرج منذ الغارة الأميركية على منطقة القائم، مرورا بمحاصرة أذرع إيران السفارة الأميركية في بغداد، وانتهاء بمفاجأة تصفية واشنطن قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني.

الأزمة تحولت إلى أزمات منذ أمسكت إيران بورقة احتضان جماعة الحوثيين في اليمن وتحريضها وتسليحها، ثم وجهت إليها الأوامر بتحريك ميليشياتها لاستهداف السعودية، برا وجوا وبحرا حتى ضرب منشآت أرامكو، بالتالي إعلان حرب لا يمكن طهران مهما ادعت أن تتنصل منه.

الأزمة استنسخت أزمات حين اختارت إيران الرد على العقوبات الأميركية باستهداف قواعد في العراق ينتشر فيها جنود أميركيون، لكنها فشلت في التخفي وراء أدواتها، أي الفصائل الشيعية التي انضوت في ما يسمى الحشد الشعبي، وحاصرت مباني السفارة الأميركية متجاهلة مؤسسات الدولة العراقية. ولكن أي دولة حين تعجز قواتها عن ردع ميليشيات تأتمر أولا بتعليمات النظام الإيراني، وتعترف بالدولة فقط لاستنزاف شرعيتها إذ تصبح واحدة من مؤسسات نظام الولي الفقيه.

إذا اندلعت الحرب ستخوضها واشنطن حتى النهاية، والعبارة لوزير الدفاع الأميركي مارك أسبر.

بديهي أن تنشغل إيران أولا بدرس السيناريوهات الاثني عشر التي لوحت بها للرد على تصفية البنتاغون قاسم سليماني راعي الميليشيات التي زرعتها طهران وغذتها على مدى سنوات طويلة، في لبنان وفلسطين واليمن والعراق وسوريا، ورغم ضجيج التهديدات بعد صدمة تصفية قائد فيلق القدس، وحديث الأمين العام لمجلس الأمن القومي الإيراني علي شمخاني عن الخيارات العديدة للقصاص من الرئيس دونالد ترامب بحيث يبدو أضعف سيناريو كابوسا للأميركيين، لا تتكتم كتائب حزب الله العراقي التي كانت هدفا للضربة الأميركية في منطقة القائم، على توضيح إطار زمني غير معلن يتدرج بالرد الإيراني أولا على تصفية سليماني، ثم انتظار ما يرتكبه الأميركيون لتحدد الكتائب طبيعة ردها.

هل كانت تلك مجرد هفوة من فصيل يفترض أنه إحدى أدوات إيران التي تعهدت أن تبادر إلى القصاص من كل جندي أميركي في المنطقة؟ بمعزل عن أي قرار تتخذه طهران فهذه معركة كل محور الممانعة كما ارتأى الأمين العام لحزب الله في لبنان حسن نصرالله الذي يرى مبكرا مؤشرات إلى واحد من انتصارات لا تكف ميليشيات الممانعة عن تصنيفها تاريخية، والحزب كان خطف قرار الحرب والسلم من الدولة اللبنانية، وحين أشعل حرب يوليو 2006 ترك لهذه الدولة مسؤولية محو الدمار.

في صميم أزمة الحشود المتأهبة للحرب، أن حال الميليشيات ليست أفضل من حال الارتباك في إيران حيث ضجيج التهديدات لا يعكس سوى صدمة المباغتة بتصفية الأميركيين القائد المخلص للولي الفقيه. وهو الجندي الذي سلخ تلك الفصائل عن أي انتماء وطني تضيق به طموحات الممانعة، لتتحول إلى بيادق عصية على خيانتها.

52 هدفا للأميركيين، 12 سيناريو للرد الإيراني، و12 شرطا لدى واشنطن التي ما زالت جاهزة لتسوية مع النظام الإيراني وكلاهما على حافة حرب شاملة لا تعرف حدودا ولا سيادات. التأهب الأميركي يذكر بالحرب على يوغوسلافيا، لا يشبه كثيرا عشية غزو العراق لإطاحة نظام صدام حسين. صحيح أن العراق اليوم ساحة كبرى للحرب، لكن الصحيح أيضا أن إدارة الرئيس دونالد ترامب حين اتخذت قرار المواجهة كانت تدرك أثمانه وأن الاكتفاء بضرب الأدوات ليس من شأنه سوى تأجيل حرب حتمية كانت تقترب حتما مع دفن جثمان سليماني.

**في عام الانتخابات، من يصدق أن ترامب سيتجرع كأس إخراج الأميركيين من المنطقة، فيما وجودهم لم يمنع إيران من مضاعفة مكاسبها وتضخيم عضلات الميليشيات لتفتت دولا ويتمدد الخراب**

العقدة لدى النظام الإيراني إدراكه سقوط كل الخطوط الحمر بتصفية سليماني، وأن الولايات المتحدة باتت جاهزة لضرب العمق الإيراني وبكثافة ستكون الصدمة الثانية. لن يقاتل المارينز برا لذلك لن تنفع أفواج الانتحاريين، ومحاولة استدراج إسرائيل إلى الصراع المكشوف لن تكسب طهران الكثير من حلفائها وأدواتها، فهؤلاء، في العراق ولبنان واليمن، أمام فوهة البركان أو في قلب الحرب، يواجهون انقسامات وثورات غضب في بيئات مهترئة تنزف الكثير، وقدرتها على الصمود تزعزعت في ظل عقوبات واضطرابات وانتفاضات.

وفي حسابات الربح والخسارة لا ترامب ولا المرشد خامنئي قادران على تحمل نكسة كبرى تعادل هزيمة. الأول في سنة انتخابية، والثاني في عام صعب يشتد فيه حبل العقوبات أكثر على عنق النظام الإيراني الذي لن تنفعه تهديدات الحرس الثوري ولا وعيد تلامذته في الإقليم، في التحايل على نظام مالي عالمي تحكم واشنطن قبضتها عليه. أما الضربات الصاروخية الإيرانية على قاعدتي عين الأسد والحرير في العراق فليس من شأنها بالضرورة إخماد نار ما زالت تحت الرماد، منذ سحق الانتفاضة في عشرات المدن الإيرانية.

الأكيد الذي بات محسوما أن رهان طهران على دور أوروبي يرضخ لها فشل منذ تنصلت من آخر التزاماتها بموجب الاتفاق النووي الموقع عام 2015، والأكيد أيضا أن خامنئي يدرك المتغيرات التي أطاحت باطمئنانه إلى حرير الممانعة، من العراق إلى لبنان. مثلما يدرك الجميع أن لاستدراج إسرائيل إلى حرب إقليمية ثمنا باهظا، بدءا من لبنان إلى سوريا والعراق.

المفارقة الأولى أن إيران ارتكبت خطأ تحريك الملف النووي في التوقيت الصعب، لتفقد ورقة اللعب على التناقضات الأوروبية – الأميركية.

المفارقة الثانية أن ترامب نفسه ارتكب الخطأ الثاني الشنيع، إذ لوح بعصا العقوبات لبغداد في حال أصرت على إخراج القوات الأميركية من العراق. عزز ذلك هتافات المنتفضين في الجنوب التي ساوت بين الوجود الأميركي والهيمنة الإيرانية، أو بين "احتلالين".

عام 2020 أطل بنار حول براميل بارود، من الخليج إلى المتوسط، من إيران إلى العراق وسوريا حيث الميليشيات الإيرانية تتأهب لأدوار في المواجهة الإقليمية، وللبنان حصة أيضا لأن الأمين العام لحزب الله لا يرى مفرا من معادلة حذاء سليماني برأس ترامب، ولأن الانزلاق إلى المواجهة لطرد الأميركيين من المنطقة، واجب للممانعة، أيا تكن السيناريوهات التي يختارها خامنئي للقصاص من سيد البيت الأبيض.

في عام الانتخابات، من يصدق أن ترامب سيتجرع كأس إخراج الأميركيين من المنطقة، فيما وجودهم لم يمنع إيران من مضاعفة إنجازاتها وتضخيم عضلات الميليشيات لتفتت دولا ويتمدد الخراب.